اختراع الشرق: اثريات النظام الثقافي الاوربي

يوسف محسن

تكمن قيمة عمل ادوارد سعيد (الاستشراق ١٩٨٧) في قدرته على اكتشاف علاقات الهيمنة في بنية الانساق الاستشراقية، وايجاده تلك الصلات الخفية والغامضة التي تتحكم باليات القوة (و) المعرفة داخل اثريات تاريخ الثقافة الاوروبية حيث خضع هذا النسق الاستشراقي للنموذج الديكارتي الذي يدعو إلى المعادلة: ان تفهم الشيء من اجل السيطرة عليه ينبغي البدء بالمعرفة اولاً ولكن لا تستطيع ان تعرف وتفهم الشيء إلا بشرط ان تتحرر ولو لحظة واحدة من هاجس السيطرة ذاته.

فقد انطلقت قراءة ادوارد سعيد من اسئلة بشأن تمكن النظام الاستشراقي (من وعي الذات عبر وعي الآخر) بعملية تاريخية معقدة (تبويب) (تصنيف) (تخطيط) (اختراع) مجتمعات الشرق وقد استخدم هذا النظام الاستشراقي أدوات تاريخية ومناهج انثربولوجية وارث الفلسفة الاوربية لبناء نسق معرفي تحليلي لهذه المجتمعات. تمركز عمل ادوارد سعيد في... تشكل مادة الشرق لدى دراسته ظواهر الشرق وقد شبه وحدات المواضيع هذه بالمسرحية الهزلية ذات الشخصيات الثابتة، ذلك ان وراء الخطاب الاستشراقي بمختلف وحداته مجموعة من الرموز والمجازات (العظمة: افصاح الاستشراق) حيث قدم سعيد في عمله (الاستشراق) رؤيا (أثرية) لنظام الثقافة الاوربية بآيديولوجياتها وبنزعتها الانسانوية والوضعية والانقلابية الفكرية والسياسية والمغامرات الفلسفية (اوربا متعددة الوجوه) (أوربا الانوار) (أوربا الامبريالية) (أوربا الحداثة).

نلاحظ ان التطورات التي حصلت في الانظمة الاقتصادية والعلوم والتقنيات والمنظومات الفلسفية والسياسية ما بعد عصر الانوار شكلت معياراً حقيقياً لاختراع الشرق (الآخر) وليس وعي الافراد كذوات أي ان (الشرق الاستشراقي) متشكل من خلال (وعي بنيوي متخيل) هذه العملية الاجرائية التاريخية الكبرى تمت عن طريق تنظيم وتصنيف الرؤية الاوربية (للقوميات) في مجرى القرن التاسع عشر في خليط مثير للدهشة من الاحكام المسبقة بصدد رؤية كل قومية اوربية للاخرى اولاً وبصدد الرؤية الاوربية للعالم غير الاوربي ثانياً. وكانت مرحلة التساؤل والاستفهام والتقصي وتأكيد مكانة اوربا وتوعيتها في العالم وفي التاريخ اخذت تندثر، وتتوارى التمثيلات التي شكلت هذا العصر امام تقدم اليقينيات الهيغيلية الكبرى والمعززة بتطور العلوم والتقنيات التي وظفها ريناث وغوبينو لتشييد نظام هرمي للمجتمعات البشرية يعزز لدى الاوربيين شعورهم بالتفوق.

يبدو ان المتخيل الاستشراقي عن الوجود الموضوعي للشرق (كهوية منفصلة) و(فضاء للهيمنة) كان يحدد ما يعززه في لعبة (المرايا المتبادلة) في نظام الثقافة الاوربية بين مجتمعات الشرق والمجتمعات الاوربية منذ مطلع القرن التاسع عشر إذ (يعاكس) كل منهم صورة الآخر، ففي قراءة لـ فرانسوا هارتوغ (مرآة هيرودوتس) نجد ان هيرودوتس يحدد من خلال هذه المرآة معالم الحداثة اليونانية القديمة بالاستناد إلى ثنائية (الأنا) المتحضر و (الآخر) الهمجي وفالسيقتيون كان من البدو الرحل عند التخوم البلقانية لأورياهم الذين أدوا يومئذ دور المرآة لتحديد معالم الهوية الاغريقية المتجذرة في التطور الحضري وما كان لعصر النهضة الاوربية المفتون بتاريخ اليونان القديم إلا ان يصطنع لنفسه على غرار هيرودوتس مرآة للآخر ليحدد هويته هو ذاته، وسوف يشكل الاسلام أو الشرق اللا معين الحدود الهلالية ذريعة ستساعد على تركيز الهويات السياسية للمجتمعات الاوربية داخل الرؤيا الثقافية. فالاستشراق نمط من انماط التمركز حول الذات هو عنصر تشريحي لقراءة انساق السرديات الثقافية والاقتصادية والفلسفية التي يشكلها النظام الثقافي الاوربي وجزء من الصيرورات التاريخية للافراد والجماعات، فمن الصعب ان نتصور ان (اختراع الشرق) في الفرضيات الاستشراقية تكون وتبلور وتشكل خارج (مركبات الثقافة الاوربية) حيث ان الخطاب الاستشراقي وجد في الشرق نموذجاً لتحقيق اشباعاته في التأسيسات التخيلية وترسيم الهوية واعادة تنظيم التمركزات داخل الفضاءات الاوربية. فهذا الخطاب الاستشراقي يقوم في تأسيساته الاولية باقصاءات متعددة للمرجعية السوسيولوجية (المولدة للمعنى) لكونه يمتلك معنى محدداً (قبليا) وارضية ميتافيزيقية وانساقاً ثقافية ترفيهية عن الشرق ويميل إلى انتاج وتوسيع وتحويل المعنى جزءاً من آليات القوة / الهيمنة.

وقد شكل الخطاب الهجائي لأدوارد سعيد للمنظومة الاستشراقية مادة خصبة للقراءات الاصولية الدينية والقراءات القومانية حيث العودة إلى انتاج اسطورة الخصائص الدائمة والطابع الثابت والتي نجد جذورها في النظام الميتافيزيقي للثقافة العربية التي تقوم على (وجود نظام معرفي خاص يلائم كلا من جوهر الطبيعة الغربية والطبيعة الشرقية على حدة طبقاً لصادق جلال العظم.

ان تفكيك هذه القراءات التي تقع في فتح استشراقي مقلوب حيث تسعى إلى (ابدال) تفوق العقل الغربي وديناميكيته بتفوق العقل العربي وهذا معناه (وضع ثقافة فوق ثقافة ووضع فاعل فوق قابل ومعناه بالتالي حذف مقولة التبادل او التفاعل الثقافي التاريخي بين المجتمعات).

كيف ينظر المثقف العراقي إلى الواقع الثقافي في ظل المتغيرات الجديدة؟

المثقفون: مستقبل الإبداع العراقي مطالب الآن باعادة تاريخه العريق

عبد اللطيف الراشد

الثقافة العراقية مرت بمراحل عصيبة على مدى اربعة عقود خلت بسبب الحكم السابق الذي حاول تهميش وتعطيل قدرات المثقف العراقي وحرمانه من فضاءات الحرية مما اضطر البعض منهم إلى اختيار المنافي والغربة فيما ظل البعض الآخر قابعاً في الداخل يعاني ما يعاني!..

واليوم وفي ظل المتغيرات الجديدة وبالرغم من اعمال العنف التي يشهدها العراق، يسعى المثقف العراقي وبكل ما يمتلكه من قدرات ابداعية على الخلق والرؤية من اجل تفعيل الواقع الثقافي والارتقاء به إلى مستوى الطموح.

(المدى) طرحت السؤال التالي امام عدد من المثقفين:

❖كيف تنظر إلى الواقع الثقافي في ظل المتغيرات الجديدة؟!

الناقد خضير ميري:

ان المتغيرات السياسية وتقلباتها وازماتها والتباسها بواقع العنف رغم الخطوات الديمقراطية وغيرها تشكل امتحاناً عسيراً للخطاب الثقافي وواقعه الملتبس داخل مشهد المراقبة وقلق المساهمة وعدم استقرار الرؤية الآيديولوجية، وهذا واقع لم يعد شاذاً ازاء وضع العراق الاستثنائي الذي حكم عليه ان يتخلص من دكتاتوريته باحتلال لابد منه وبالتالي فان الوضع الثقافي العراقي بحاجة إلى مزيد من التأمل ومن القراءة المتأنية لواقع الحال، لأن الابداع هو اختزال لحظة الرؤية وغمسها بمتع الرؤية والتطلع والطموح والحلم بحاجة إلى دراية اكبر ومعاينة اكثر ومراجعة اشد.

واخيراً فان المثقف العراقي الآن بحاجة إلى الدقة لا إلى الوضوح كما قال الشاعر الكبير بول فاليري.

اما بخصوص المشهد الثقافي العراقي وتراجعه أو انحساره فان هذا لم يكن بسبب غلبة الخطاب السياسي فهذا الخطاب الآن هو خطاب تعددي وديمقراطي ولم يعد خطاباً احادياً مفروضاً مؤسساتياً.. إلا ان المشهد الثقافي العراقي لا يجد من يفعله ويؤثر ويساعد على عرضه اليومي او حضوره الضروري وهذا بسبب انشغال المؤسسات الثقافية بهموم أخرى، اما المعيشة فهي الآن افضل من ذي قبل بسبب كثرة الصحف ووفرة فرص العمل.

وقال الناقد حاتم العقيلي بان لمعرفة الحيثيات او التفاصيل التي يتكون منها المشهد الثقافي العراقي بشكل عام، علينا ان نكون اكثر من جريئين في تشخيص اورام وجروح الثقافة العراقية. فثمة اكثر من جرح ما زال بعض المثقفين العراقيين ينظرون اليه من زاوية اصطلاحية غير نقدية. ففي اللحظة التي تتمشهد فيها ثقافة العنف الراهنة باعتبارها النتيجة المنطقية للحاضنة الفاشية. تتمشهد في المقابل ثقافة الاستحواذ والهيمنة والاقصاء والنرجسية، لتمثل امبراطورية جديدة.

من هنا، علينا التركيز بضرورة القيام بمراجعة نقدية شاملة ودقيقة لعموم الثقافة العراقية وبكافة سياقاتها من ادب وفن ونقد.

ان اهمية هذه المراجعة، تكمن كما ارى، في رد الاعتبار للكثير من الأفكار والرؤى والشخصيات التي همشت بطريقة او اخرى، الامر الذي اسس سياقات غير حقيقية في عموم المشهد الثقافي العراقي.

في المقابل، ثمة هروب لا املك تعريفه إلى الآن يمارسه بعض المثقفين العراقيين من خلال ابتعادهم عن المواجهة المباشرة مع جروح الثقافة العراقية الآن، هذا الهروب الذي تجسد ميدانياً في انضواء اغلب المثقفين العراقيين المؤثرين ابداعياً وانخراطهم في العملية الاعلامية المباشرة، الامر الذي ابعدهم ضمناً عن قراءة المجسات الجديدة في الافق الثقافي العراقي.

ويرى الناقد سليم السامرائي ان من السابق لاوانه ان يتكهن المرء بمستقبل الثقافة.

قد يكون من السابق لأوانه ان نتحدث عن مستقبل الثقافة العراقية، وبالذات عن الخطاب الادبي، فالكل يتساءل عن مستقبل العراق السياسي: اين يسير وما هي المنعطفات التي ستواجه مسيرة العراق. أحسب إني متفائل بخطوات تبدو لي رصينة وقد تفتح اكثر من افق امام مستقبل العراق بعدها سيكون لنا حق الحديث عن مستقبل أفضل، ولان العراق في حقلة الابداعي يمتلك عقولاً نظيفة تخطو نحو الابداع بوتائر سريعة فان مستقبل الابداع العراقي مطالب الآن بان يضيف وباستمرار، إلى تاريخه المجيد.

ويعتقد الفنان ستار الناصر ان الشغل الشاغل للمثقف هو حياة الناس فهي معينه الذي يستقي منه منجزه فما بالك والشارع العراقي يغلي بحثاً عن خلاصه الذي بات وشيكاً، ويضيف:

-ان تعامل المنجز الثقافي يجب ان يختلط بمعطيات الواقع الحياتي على اعتبارها المحرك الفاعل لمسيرة النهوض كما ان المدة غير كافية لكي ترى النور اعمال ابداعية ثقافية تتناول المتغيرات الحاصلة لذا اشعر ان الثقافة العراقية بخير وهي تسير إلى الامام. بعد غياب الدكتاتورية واضمحلالها وبزوغ نور الحرية الذي اجد نفسي متفائلاً به لخلق نموذج ثقافي جيد

ويتساءل الشاعر منصور الناصر قائلاً:

-أي واقع ثقافي؟ هنالك مثقفون نعم ولكن ليس هناك واقع ثقافي بالمعنى الحقيقي الذي ناضل (اذا صحت التسمية) من اجل انشائه عشرات بل مئات المبدعين العراقيين.

المشكلة اننا ما زلنا افراداً متشظين هنا وهناك.. ربما نلتقي بعضنا بعضاً ولكننا في الحقيقة العامة لا نلتقي. على أي شيء نلتقي؟ وهل تبقى شيء اصلاً فيما بيننا؟

جواب سوداوي هذا، نعم هو كذلك، والسوداوية تتضح اكثر حين انظر إلى الشق الثاني من السؤال الذي يتحدث عن هيمنة السياسي على الثقافي. فاقول هل هي هيمنة السياسي حقاً؟ اشك في هذا الاصح انها هيمنة القناع السياسي لمشهد كامن نراه جميعاً، هو الوعي المتغلف السائد الذي يبرر وجود القناع السياسي اصلاً وبدونه لا نكون بحاجة لأي قناع، من هنا نستطيع وصف القناع الثقافي الذي هو الواجهة الحقيقية للمشهد عموماً هنا، بانه مشهد مسرحي لا واقعي او منفصل بطريقة متبدلة وغير جادة عن قاعدته الجماهيرية.. وعليه فان وجود المثقف الحقيقي لا الثقافة بمعناها الاجتماعي الواسع وجود منتهك ومنعزل ومرفوض منذ البداية.

وحتى نتجاوز محصلة مثل هذه علينا تغيير كل شيء اما الجانب السياسي في الموضوع فيحتاج إلى وقفة اعمق وهي ان لعنة السياسة بسياسييها قد استطاعت النيل من ادنى مفصل من مفاصل حياتنا..

اليس من الغريب ان يتحدث المثقف العراقي او العربي او الاسلامي بشغف عن هذه اللعنة وهو يطمح في الحقيقة لنيل جزء من ثمراتها المحرمة والموبوءة التي دمرت حياتنا وتاريخنا ومثقفينا الاصلاء..

اخيراً سؤال كهذا بحاجة إلى كتب ومراكز بحوث كاملة للاجابة عنه.. وليس إلى لقاء سريع وشفاهي مثل هذا.. على اية حال شكراً جزيلاً.

محاولة لصناعة قمر

عواد ناصر

إلى موفق محمد.. شاهد المذبحة

كان موعدنا الفجر
كي نحتسي الكأس قبل دخول التقاليد
قبل مفاجأة البرتقال
لكم كان يكره كل الذي يتعلق بالبرتقال؟
لم يعد راويا للنكات
كان يصنعها كالقنابل كي ينسف الطاولات
او يخيف بها الحارس المتربص بالساهرين إلى الفجر
قال: نمر قليلاً على شارع الموكب
نلق بعض السلام على عشتروت السجينة
قبل ظهور الطحالب من كوة القبو
وعلى شاطئ من كتاب الفرات (بمقهى "ابو سراج" بالضبط)
جاءت فتاة لتسأل عن شاهدٍ لا جناح عليه...
-اذهبي!
ان هذي المقاهي مقاهي رجالٍ!
ولكنها بقيت تنتظر
قبلة الشاعر المتمرد او تنتحر...
غير انا سهرنا ثلاثتنا في الهزيع المهدد
فالظلام الذي غالباً ما يطال الغرف
سيفلسف موبقة تقترف
والليالي التي يسهر الشعراء على نارها
تتأثث دوماً بماء القصائد
بالخوف من أية تتكيف بين السقيفة والبرلمان
بالذي يتبقى من الحب في راحة الكف
بالكاس ينضب في غفلة الشاربين
(ان ما يحدث الآن اخطر من شارع يحترق)
ربما، غير هذا القمر
سيفاجئنا قبل ان يستوي طبق اليوم
ربما نحن من يصنعون القمر
من بقايا اصابعنا
من فتات الكلام الذي لم يزل قابعاً تحت ظل الامام المسلح
من غابة تتأرجح ما بين نهر وخندق
من غناء توارث او تارهِ من نياط القلوب
آن لي ان اصفر لحناً بسبع زنابق تبحث عن قبر هذا الزمان...

لندن ٢٠٠٥/٣/١٠

صدرت في أسبانيا بلغتين: لعنة كلكامش: منتخبات من الشعر العراقي المعاصر

اسبانيا(خاص): صدرت للمرة الأولى في أسبانيا و في مدينة برشلونة أنطولوجيا من الشعر العراقي المعاصر بعنوان لعنة كلكامش في كتابين منفصلين باللغتين العربية . الأسبانية و العربية . الكاتلانية وذلك بالتتابع عن دار نشر تمبستاد Tempestad و دار نشر ديلنديكس del index

ويعد المشروع الأول من نوعه في أسبانيا أن تصدر منتخبات شعرية عراقية معاصرة بطبعتين مستقلتين ولغتين رئيسيتين، واذا كانت هناك محاولات أولى لترجمة الشعر العراقي للغة الأسبانية لاسماء معروفة مثل السياب والبياتي، فإنها المرة الأولى التي تصدر طبعة شاملة عن الشعر العراقي باللغة الأسبانية، والأولى من نوعها باللغة الكاتلانية. وقد أنتخب القصائد وترجمها وقدم لها بمقدمة وافية، الكاتب العراقي المقيم في مدريد عبدالهادي سعدون بالتعاون مع المستعرب الكاتلاني المعروف جوسيب غريغوري. وقد جاء كل كتاب بـ ١٠٢صفحة من الحجم المتوسط وضمت المنتخبات قصائد لأكثر من ثلاثين شاعراً عراقياً من أجيال مختلفة من الخمسينيات حتى نماذج شعرية لآخر أصوات جيل التسعينيات. والقصائد التي ضمتها المنتخبات حاولت إعطاء صورة متنوعة عن تيارات الشعر العراقي لما بعد فترة التحديث الشعري التي جاء بها تيار قصيدة الشعر الحر حتى آخر تيارات التجديد في قصيدة النثر وما بعدها، دون أن تضع عقبات أو حدوداً فاصلة للشعرية العراقية سواء تلك التي كتبت في العراق أم خارجه. من هنا فقد نوهت المقدمة بظروف التكوين الشعري وأهم ممثليه ومن ثم التنوع والمغايرات الشكلية والتمثيلية في كل جيل وتيار ولدى كل شاعر. كما جاءت المقدمة بالتفصيل على مجمل ظروف القصيدة العراقية في مجابهة الديكتاتورية والتعسف والحروب وانتهاك الإنسانية في ظروف العراق طوال تلك السنين ومدى صلاحية القصيدة كجزء من الثقافة العراقية لمجابهة كل تلك الظروف المعتمة ومسايرتها لكل أنواع التجديد والإضافة إليه. وعنوان الكتاب(لعنة كلكامش) جاء من جملة وردت في المقدمة تشير إلى أن لعنة الشعر من ملحمة كلكامش حتى اليوم لا يمكن أن تفارق روح العراقي في التعبير عن كل ما له صلة بالعالم حتى وهو في أشد الأوضاع حلكة، ولا يجد افضل من الشعر كعشبة نجاة من اجل الوصول الى الطريق الأبدي.

وقد ضمت المنتخبات الشعرية باللغتين الأسبانية والكاتلانية قصائد متفرقة لأسماء مثل: فاضل العزاوي، شيركو بكه س، جان دمو، مهدي محمد علي، جمال مصطفى، صلاح حسن، عدنان الصائغ، أحمد عبدالحسين، نصيف الناصري، باسم المرعبي، طالب عبدالعزيز، سعد جاسم، سلمان داود، عبدالأمير جرص، دنيا ميخائيل، كاظم النصار، جمال الحلاق، فرج الحطاب، محمد الأمين، صلاح حيثاني، محسن الرملي، جلال نعيم، فارس عدنان، رعد زامل،محمد الحمراني، خالد كاكي، أحمد سعداوي وآخرين غيرهم. وسيتم تقديم الكتابين أمام الجمهور الأسباني في مدينتي مدريد وبرشلونة على التتابع في الأيام القادمة. ومن المؤمل أن يتم نشر كتاب منتخبات أخر من الشعر العراقي بتحرير سعدون نفسه لأكثر من ٤٠ صوتاً شعرياً آخر لطبعة جديدة عن دار نشر تادروي في مدينة مديين في كولومبيا هذا العام.